

النفسير المطول - سورة النساء 004 - الدرس(41-69): تفسير الآيات 87-88 ، صحة الرؤية  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 20-12-2002

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا بما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنها، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### الذى خلق الإنسان وأمده بكل شيء وسيئه هو ذاته سيحاسبه :

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الواحد والأربعين من دروس سورة النساء، ومع الآية السابعة والثمانين، وهي قوله تعالى:

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَعْلَمُ عَمَّا تَصْنَعُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَبَّ بِهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا )

هناك معنىًّا دقيقاً مستفاداً من مقطعين في الآية:

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ )

أي هو الواحد، هو الفرد المتصرف، إليه يرجع الأمر كلّه، منهجه واحد، هداه واحد، الحق واحد، الإله الذي خلق، والذي سيئ هو نفسه سيسأل، وسيحاسب، وسيعاقب، تكون في بلد، وقوانينه تطولك بعقاب أليم، فتنتقل إلى بلد آخر، في البلد الآخر قوانينه لا تطولك، لكن المعنى المستفاد هنا في هذه الآية هو أن الذي خلق الإنسان، والذي أمده بكل شيء، وأن الذي بيده كل شيء، وسيئه هو ذاته سيحاسبه، لذلك ما من عاصٍ يعصي الله وهو يعصيه يرى العقاب فيعصيه، لكن الذي يعصي الله يتوجه أن الله لا يعقابه، وأنه سيفلت من عقابه، ولن يسبق أحد الله عز وجل:

( وَلَا يَحْسِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا )

[سورة الأنفال: 59]

معنى سبقوا أي نقلنا من عقاب الله عز وجل.

## التلازم بين الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر :

أيها الأخوة، الشيء الذي يلفت النظر هو أنه ما من ركين من أركان الإيمان تلزماً في القرآن تلزماً كثيراً كتلازم الإيمان بالله واليوم الآخر، لا يكفي أن تؤمن بالله، خالق هذا الكون، رب هذا الكون، إله هذا الكون، لا بد أن تضيف إلى إيمانك بالله إيماناً باليوم الآخر، الإيمان باليوم الآخر هو الذي يضبط الناس، هو الذي يحجزهم عن معاصي الله، هو الذي يمنعهم أن يأكلوا المال الحرام، هو الذي يمنعهم أن يعتدوا على أعراض الناس، هو الذي يمنعهم أن يحتلوا، أن يغشوا، أن يكتبوا، أن ينتقموا، أن يظلموا، ما من إنسان تراه يعتدي على أموال الناس، أو على أعراضهم، أو يظلمهم، أو يكذب عليهم، أو يحتال عليهم، إلا وهو ضعيف الإيمان باليوم الآخر، لو أن الإيمان باليوم الآخر كان دقيقاً ومحقاً لما عصى إنسان ربه، إنك مع قوي في الدنيا إذا أيقنت أن علمه يطولك، وقدرته تطولك لا يمكن أن تعصيه، وربما لا تحبه، لكنك تحب نفسك، فلا يمكن أن تضع نفسك في مجال عقابه، هذا مع إنسان قوي في الدنيا فكيف مع خالق الأكون؟ الرحمن الرحيم ذي الجلال والإكرام.

أيها الأخوة الأحباب:

(الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)

هذه كلمة الإسلام الأولى، هذه الكلمة التوحيد، لا رافع ولا خافض، ولا معطي ولا مانع، ولا معز ولا مذل، ولا شافي ولا قابض ولا باسط إلا الله، هذا الإله العظيم الذي بيده كل شيء له منهج، افعل ولا تفعل، وأنت محاسب يوم القيمة على منهج الله وحده، أي منهج أرضي لا تحاسب عليه، تحاسب على منهج السماء، لذلك قال تعالى:

(فَمَنْ زُحْرَ حَرَّ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)

[سورة آل عمران: 185]

الفوز أن تفوز بالجنة، والخسارة أن تخسر آخرتك.

## كل مقاييس الأرض معطلة يوم القيمة ولا قيمة لها :

قال تعالى:

(الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْعَلُكُمْ

هو الذي منحكم الوجود، ومنحكم الإمداد، هداكم وأرشدكم، أعطاكم تشريعاً، هو نفسه سيسألكم عنه، أحياناً في التعليم تدرس في مدرسة، وتقدم امتحاناً عاماً، الذي أعطاكم ال دروس لن يسألكم، ستسألك جهة

أخرى، لا يمكن أن يكون هناك ازدواجية في المنهج، منهج واحد؛ منهج الخالق عنه تحاسب يوم القيمة.

( إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ \* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ )

[سورة الغاشية: 26-25]

( اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَبَّ فِيهِ )

وقد تعلمنا من القرآن الكريم أن تأخذ إخبار الله على أنك تراه، لأن الله سبحانه وتعالى أصدق القائلين:

( أَلمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفَيْلِ )

[سورة الفيل: 1]

ترَأَيْ يَنْبَغِي أَنْ تَسْتَقْبِلَ إِخْبَارَ اللَّهِ لَكَ عَلَى أَنْكَ تَرَاهُ، فَلَذِكَ:

( يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَا رَبَّ فِيهِ )

لا ريب في وقوعه، ولا ريب في أحقيته، ولا ريب في أنه في هذا اليوم يكرم المحسن ويعاقب المسيء، وأن كل مقاييس الأرض معطلة يوم القيمة، هناك ألقاب عالية اخترعها الإنسان، هذه يوم القيمة لا قيمة لها، هناك أشخاص أغنياء الغنى لا ينفعهم يوم القيمة، لو أنه يملك ما في الأرض جميـعاً لا فـتنـى بما يـملـكـ من سـوءـ العـذـابـ، هناك أقويـاءـ جداًـ، قـوـتهمـ لا تـمـنـعـهمـ من عـذـابـ اللهـ يومـ الـقـيـامـةـ:

( وَلَقَدْ جِئْنَمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً )

[سورة الأنعام: 94]

جـئـنـمـونـاـ فـرـادـىـ، لاـ يـأـتـيـ القـوـيـ بـجـمـعـهـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ، لاـ يـأـتـيـ القـوـيـ بـمـنـ حـوـلـهـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ، القـوـيـ يـأـتـيـ فـرـداـ ضـعـيفـاـ، الغـنـيـ يـأـتـيـ فـقـيرـاـ.

### أـخـطـرـ شـيـءـ فـيـ حـيـاةـ إـلـاـنـسـانـ روـيـتـهـ :

أـيـهاـ الأـخـوةـ الـكـرـامـ، إـلـهـ وـاحـدـ، خـالـقـ وـاحـدـ، ربـ وـاحـدـ، مـنـهـجـ وـاحـدـ، يـوـمـ حـاسـبـ وـاحـدـ، هـذـهـ حـقـيـقـةـ هـذـهـ الآـيـةـ:

( اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَبَّ فِيهِ )

أـيـ إـنـسـانـ أـقـمـ عـلـىـ مـعـصـيـةـ لـوـ أـنـهـ اـسـتـحـضـرـ عـظـمـةـ اللـهـ، لـوـ أـنـهـ اـسـتـحـضـرـ أـنـهـ سـيـوقـفـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ لـيـسـأـلـ لـمـ عـصـيـتـ؟ـ لـمـ أـكـلـتـ أـمـوـالـ النـاسـ بـالـبـاطـلـ؟ـ لـمـ غـشـتـهـمـ؟ـ لـمـ اـحـتـلـتـ عـلـيـهـمـ؟ـ لـمـ أـفـسـدـتـهـمـ؟ـ إـلـاـنـسـانـ بـنـيـانـ اللـهـ، وـمـلـعونـ مـنـ هـدـمـ بـنـيـانـ اللـهـ، مـاـ مـنـ إـنـسـانـ يـسـتـحـضـرـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ فـيـ كـلـ حـرـكـاتـهـ وـسـكـنـاتـهـ إـلـاـ سـتـقامـ عـلـىـ أـمـرـ اللـهـ، وـالـوـيلـ لـمـنـ لـمـ يـسـتـحـضـرـ هـذـهـ عـظـمـةـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ، لـمـنـ لـمـ يـسـتـحـضـرـ عـظـمـةـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ فـيـ الدـنـيـاـ، المـجـرـمـ لـمـاـ يـرـتـكـبـ الـجـرـيـمـةـ؟ـ لـأـنـهـ يـغـلـبـ عـلـىـ ظـنـهـ أـنـهـ سـيـسـلـمـ مـنـ الـعـقـابـ، وـأـنـهـ سـيـتـمـنـعـ بـهـذـاـ

المال، ولو أنه استحضر الإعدام لما أقدم على هذه الجريمة، سارق، لماذا يقدم على السرقة؟ لأنه يغفل عن العقاب، يستحضر الجانب الذي يتوهمه صحيحاً، أنه سيستمتع بهذا المال، ولو استحضر أنه يلقي القبض عليه ويودع في السجن لما سرق، لذلك ضعف رؤية، وأخطر شيء في حياة الإنسان رؤيته، ماذا ترى أنت؟ ألم يدعوا اللهم أرنا الحق حقاً، لماذا دعا بهذا الدعاء؟ لأن من الناس من يرى الحق باطلأ، ومن الناس من يرى الباطل حقاً، من الناس من يرى كسب المال الحرام غنية، وإيقاع الأذى بالناس غنية، والاحتيال على الناس مغنم كبير، ما من خطأ يقع من الإنسان إلا لخطأ في رؤيته، لو رأى الحق حقاً فاتبعه، ورأى الباطل باطلأ فاجتبه لما شفي لا في الدنيا ولا في الآخرة، قضية الرؤيا، مرة أقول: لا تحب أحداً أحب نفسك. إن كنت مفرطاً في حب ذاتك فلا بد أن تستقيم على أمر الله، لأن الخير كله في طاعة الله، ولأن الشر كله في معصية الله، ومستحيل وألف ألف مستحيل أن تطيعه وتخسر، وأن تعصيه وتربح، صلح رؤيتك، الناس يعيشون لحظتهم ولا يعيشون مستقبلهم، يريد مالاً وفيرأ، بيته كبيراً، زوجة رائعة، مركبة فارهة، يعيش لحظته، فإذا جاء يوم الحساب ندم أشد الندم.

### البطولة أن ترى مستقبلك قبل أن تصل إليه :

إذا جاء يوم الحساب يقول:

( يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاةِي \* فَيُوْمَئِذٍ لَا يُعَذَّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ \* وَلَا يُؤْتَقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ )

[سورة الفجر: 24-26]

كل بطولتك أن ترى مستقبلك قبل أن تصل إليه، أن ترى العقاب قبل أن تناله، أن ترى الثواب قبل أن تأخذة، أن تعيش المستقبل:

( إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ )

ألا ترون ما يجري في العالم؟ ألا ترون ما يجري من انتهاك لحقوق الإنسان؟ من قتل وتدمير؟ من إذلال وتقدير؟ من إفقار وتجهيل؟ هؤلاء الذين يفعلون هذا ليس لهم رؤية صحيحة أبداً، يرون الفوز في السيطرة، يرون القوة في الغطرسة، أما حينما ترى أن لهؤلاء إلهاً سوف يحاسبك عن كل قطرة دم أريقت، وعن كل دمعة هطلت من عين بائس، وعن كل طفل، لو رأى الطاغية الذي يفعل هذه الأفعال ما ينتظره من عقاب لصعق وممات.

( وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُوَحِّرُهُمْ لِيَوْمٍ شَخْصٌ فِيهِ الْأَبْصَارُ )

[سورة إبراهيم: 42]

( لَا يَعْرِنَكَ تَقْبُلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَادِ \* مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَهَادُ )

[سورة آل عمران: 196-197]

## كما ازداد علمك بالله صحت روئتك وصح عملك فسعدت في الدنيا والآخرة :

قضية رؤية أيها الأخوة، أنت حينما ترى الحق حقاً تتبعه، وحينما ترى الباطل باطلاً تجتنبه، قضية رؤية فقط، إن صحت الرؤية صح العمل، وإن فسدت الرؤية فسد العمل، سيدنا يوسف هذا النبي الكريم حينما دعته امرأة العزيز ماذا رأى حتى قال: معاذ الله، إني أخاف الله رب العالمين؟ مليون إنسان يوضع في مثل ظرفه فيرى الإقبال على الأمر مغناً كبيراً، ماذا رأى؟ رؤيا!! صحة روئتك، كلما ازداد علمك تصح روئتك، لماذا يأتي إنسان يأكل فاكهة دون أن تغسل ولا يشعر بشيء، أما الطبيب الذي يرى الأمراض الفتاكه والأمراض الإنفلونزا، وعدوى الأمراض والجراثيم، وما تفتك بالإنسان، لا يأكلها قبل أن يغسلها؟ علم الطبيب أكسبه رؤية، فغسل كل شيء وعقمه قبل أن يأكله، والجاهل بأمور الجراثيم والعدوى والأمراض جهله جعل روئيته منطمسة، فأكل فاكهة دون أن يغسلها، فمرض!! مشكلة الرؤية، قد يأتي إنسان يجهل القانون فيرتكب حماقة تدمره، يأتي إنسان متمن من القوانين فيشي وفق القوانين فيسلم في دنياه، قضية رؤية، قد يرى هذا الإنسان أنه أنجب هذا الولد وانتهى الأمر، ولن يكون عبياً عليه، أما حينما يكتشف بعد حين أنه خسر ولده وأن ولده غارق في الموبقات والمعاصي والآثام، يندم ندماً لا حدود له، أما إذا رأى أنه لا يسعد إلا بسعادة ابنه، وبشقي بشقائه، هذه رؤية، كلما ازداد علمك بالله صحت روئتك، وإن صحت روئتك صح عملك، وإن صح عملك سعدت في الدنيا والآخرة، وكلما ضعف علمك فسدت روئتك، وإن فسدت روئتك فسد عملك، وإن فسد عملك شقيت في الدنيا والآخرة.

## الله وحده يحاسب الناس يوم القيمة :

قال تعالى:

(الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)

ليس في الكون إلا الله، وليس في الأرض إلا الله، وليس من متصرف إلا الله، وليس من معطٍ إلا الله، وليس من مانع إلا الله، أما هذه القوى التي تتبرج وتهدد وتتعطرس هي بيد الله، هي في قبضة الله، لا ترى الوحش الكاسر لكن انظر من يملك زمامه، إليه يرجع الأمر كلـه.

(وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ )

[سورة هود: 123]

(مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ \* إِنِّي تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ أَخْذُ  
بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبَّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ )

[سورة هود: 55-56]

أيها الأخوة، أبرز ما في هذه الآية أن الذي خلق، ومَدَ، وسيَرَ، ووضع لك منهاجاً هو وحده سوف يحاسبك يوم القيمة، ليس من إله آخر يحاسبك حساباً آخر، ليس من إله آخر يسوي مشكلات الناس تسوية أخرى، إله واحد، خالق، مربٍ، مشرع، واضح المنهج، يعلم وسيحاسب وسيعاقب، هذا معنى الآية:

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا)

الله عز وجل إن أخبر عن شيء فينبغي أن يؤخذ وكأنه وقع :

طبعاً كلكم يعلم إن درستم علم البلاغة أن الكلام خبر وإنشاء، فالإنشاء كالأمر، والنهي، والتنبيه، والترجي، والاستفهام، والحضر، هذا كلام، لو قلت لأحدكم: كم الساعة؟ هل يمكن أن تقول له: كذاب؟ الكلام الذي لا يتحمل الكذب والصدق يقال له كلام إنشائي، أي كلام لم يقع بعد، أسألك: ما اسمك؟ كم الساعة؟ السؤال، والاستفهام، والتنبيه، والترجي، والحضر، هذه أساليب الإنشاء، لأنها لا تحتمل الصدق والكذب، أما هناك نوع آخر من الجمل هي الجمل الخبرية، مثل: سافر أخي، قد يكون سافر، أو يكون لم يسافر، هذا الكلام الخبري يتحمل الصدق والكذب، لكن إذا كانت الآية خبرية الصيغة مثل هذه الآية:

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ)

هو كلام خيري بحسب علم البلاغة، يتحمل الصدق والكذب، لكن لأنه كلام الله عز وجل:

(وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا)

يجب أن تأخذه وكأنك تراه، يجب أن تأخذه وكأنه وقع، ألم يقل الله عز وجل:

(أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ)

[سورة النحل: 1]

معنى هذا أنه لما يأتي بعد، يجب أن تأخذ أمر الله الذي لم يأتي وكأنه أتي.

(وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَلَّا تَقْتُلَ النَّاسَ)

[سورة المائدة: 116]

هذا القول سيكون يوم القيمة، لأن الله عز وجل إن أخبر عن شيء فينبغي أن يؤخذ وكأنه وقع.

لولا الإيمان باليوم الآخر لكان بطن الأرض خيراً لنا من ظهرها :

قال تعالى:

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ)

لا ترتاح النفوس أيها الأخوة إلا بالإيمان باليوم الآخر، والله الذي لا إله هو إن ما يجري في العالم اليوم لو لا أن هناك يوماً آخر، يوماً تسوى فيه الحسابات، يوماً يعاقب فيه الظلمة، يوماً يكافأ فيه المحسنون، يوماً يؤخذ للمظلوم من الظلم، وللضعيف من القوي، لكان بطن الأرض خيراً من ظهرها، لو لا الإيمان باليوم الآخر، لو لا الإيمان أن هؤلاء الذين يتجاوزون الحدود وينزلون الشعوب، لو لا أننا نؤمن أنهم خاسرون يوم القيمة، لكان بطن الأرض خيرٌ لنا من ظهرها.

(اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْعَلُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَبَّ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا \* فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَتِينَ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَثْرَيْدُونَ أَنْ تَهْذُوا مِنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلَ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدْ لَهُ سَبِيلًا)

(ما لكم) استفهام تعجب، لماذا أنت هكذا؟ ما لك لا تدرس؟ ما لك لا تأخذ بالأسباب؟ ما لك لا تدرس؟ أنا أعجب من عدم دراستك، الأمور كلها ميسرة، أنت في ثانوية جيدة، ولك أب ينفق عليك، ويتنى أن تكون من الأوائل، والكتب بين يديك، والأساتذة متوفون، والمدرسة رائعة جداً، ما لك لا تدرس؟ ما لكم استفهام تعجب.

(فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَتِينَ )

لماذا تعددت رويناك للمنافقين؟ لماذا وقعتم في حيرة من موقفكم منهم؟ لماذا ذهب فريق إلى رأي وفريق إلى رأي آخر؟ لم توحدوا موقفكم منهم؟ لم تكن لكم رؤية واحدة تجاه المنافقين؟  
(فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَتِينَ )

المنافق مكانه في الدرك الأسفل من النار لأن إيمانه شكلي :

ثم يقول الله عز وجل:

(وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا )

أركسهم بمعنى أعادهم، كانوا كفاراً فأسلموا، ونافقو، وقد أعادهم الله كفاراً، بل إن عذابهم يوم القيمة أشد من عذاب الكفار، لقول الله عز وجل:

(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ )

[سورة النساء: 145]

أركسهم بالعدل، أركسهم بما ظلموا، أركسهم بما كسبوا، هذا الذي يقطف ثمار المؤمنين وهو ليس مؤمناً، ويقطف ثمار التفلت من منهج الله، وهي مكاسب الكفار كما يتوهمون، هذا الذي يجمع بين مكاسب المؤمنين وهو ليس مؤمناً، وبين ما يتوجهه الكافر أنه مكاسب وهو كذلك، هذا مكانه في الدرك الأسفل من النار.

( فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتَّانِينَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا )

أي أعادهم إلى سيرتهم الأولى، هم أرادوا بالتفاق أن يغنموا لا أن يوحدوا، أحياناً الإنسان يرى مصلحته أن يكون مع أهل الإيمان، قد يرى مصلحته التجارية فقط، وقد يرى مصلحته الأسرية فقط، فكم من إنسان أسلم ليتزوج من امرأة رائعة؟ ولا ينعقد العقد إلا إذا أسلم، فالمنافق بالتعبير المعاصر وصولي يبرر الوسائل غير الشريفة لأهداف غير شريفة، المنافق همه المصلحة، همه الهوى والدنيا، إذا آمن إيماناً شكلياً فلمصلحة راجحة تتحقق عنده.

الإضلal إذا عزى إلى الله فهو الإضلal الجزائي المبني على ضلال اختياري :

قال تعالى:

( فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتَّانِينَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا )

أي أن نفاقهم مكشوف عند الله عز وجل:

( يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ )

[سورة النساء: 142]

( وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلُوا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا تُحْنُّ مُسْتَهْزِئُونَ \* اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ )

[سورة البقرة: 15-14]

( أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ )

أقول دائماً أيها الأخوة: إن الإضلal إذا عزي إلى الله عز وجل فهو الإضلal الجزائي المبني على ضلال اختياري، قوله تعالى:

( فَلَمَّا زَاغُوا أَرَاغَ اللَّهُ فُلُوبَهُمْ )

[سورة الصاف: 5]

الإنسان حينما يختار طريقاً آخر كي يصل إلى الله فلن يصل إليه :

الإضلal إذا عزي إلى الله في بعض الآيات قال العلماء: إنه الإضلal الجزائي، الذي يبني على ضلال اختياري، تماماً كما لو أن طالباً في الجامعة لم يدرس، ولم يداوم، ولم يشتري الكتب، ولم يحضر، ولم يذاكر، ولم يؤدِ الامتحان، وجاءه إنذار تلو الإنذار كي يعود إلى الجامعة، فيداوم، ويدرس، وهو يرفض أشد الرفض، ثم صدر قرار بترقيتين قيده، أليس هذا القرار تجسيداً لرغبة الطالب؟ هذا الضلال الجزائي

المبني على ضلال اختياري، المنافق أراد الدنيا، لكن أراد الدنيا من خلال اندساسه في صفوف المؤمنين، أراد الدنيا من خلال المؤمنين، هو منافق إذا: )أثريدون أن تهدوا من أضل الله(

قد يفهم من الآية أنه أضل نفسه عن الله عز وجل، أراد الدنيا، أراد أهل الدنيا، أراد مال الدنيا، أراد متع الدنيا، أراد شهوات الدنيا، أعرض عن الدين، وعن بيوت الله، وعن تلاوة كتاب الله، وعن طلب العلم، وعن الاستقامة والعمل الصالح، أراد الدنيا:

)أثريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا(

أي أن الله عز وجل رسم طريقاً إليه، لا يمكن أن تصل إليه إلا من خلال هذا الطريق، كيف أن الدولة اليوم رسمت طريقاً للطبيب، لا بد من شهادة ثانوية بمجموع عالٍ، لا بد من سنة في العلوم، وسنة في التشريح، وسنة في الفيزيولوجيا، وسنة في علم الأمراض، وسنة في الأدوية، هذا هو الطريق، لا يمكن لإنسان كائن من كان أن يزاول مهنة الطب إلا من خلال هذا الطريق، فالذى أراد أن يكون طبيباً من خلال قراءة بعض المجلات الطبية يودع في السجن، لا يمكن أن تفتح عيادة وتقول: أنا طبيب، وثروتك في الطب قراءة بعض المجلات الطبية، فلذلك الله عز وجل رسم طريقاً إليه، لا يمكن أن تصل إليه إلا عن هذا الطريق، وهذا معنى قوله تعالى:

)أثريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا(

أي أن الإنسان حينما يختار طريقاً آخر كي يصل إلى الله فلن يصل إليه.  
أيها الأخوة الكرام نتابع هذه الآيات في درس قادم إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين